الرواية الكاملة

الحقيقة اغرب من بنات الخيال

كتب احد اساتذة اللغة الانكليزية وادابها في اميركا مقالة بيّن فيها ان طيران لندبرغ من نيويورك الى باريز وما سبقهُ من الحوادث رواية كاملة تجتمع فيها كل فنون التأليف الروائي على أتم ما يكون، وقال انهُ لا يعرف مؤلفاً يستطيع ان يبتكر رواية و يسوق حوادثها بحيث تكون اوقع في النفس من تتابع الحوادث الواقعية في رواية لندبرغ الجوية

يرتفع الستار عن رجل من اغنياء اميركا يهتم بشؤون الطيران فيعرض على الطيارين جائزة قيمتها ٢٥ الف ريال ينالها اول رجل يطير من نيويورك الى باريس دفعة واحدة . فتثير جائزتهُ بعض الاهتمام في الرأي العام وتبدأ الصحف تعنى بعض العناية باخبار الطيارين الذين يظن انهم قد يتقدمون الى نيل هذه الجائزة. على ان احاديث العارفين بشؤون الطيارات والطيران تدور على مصاعب هذه الرحلة الجوية وما يحول دون تحقيقها من المخاطر . فيزداد اهتمام الناس بها وتكثر عنايتهم بقراءة ما تنشرهُ الصحف في هذا الشأن. ثم يتقدم طيّار افرنسي يدعى فونك يحيّ بطيارتهِ من فرنسا الى نيويورك خاصة . وبعد ما يعدّ معداتهِ للطيران يحاول الارتفاع بطيارتهِ فترتفع قليلاً ثم تنكص وأسها وتهبط الى الارض فتحطم وتحترق ويقتل اثنان من ركابها وينجو سائقها . ثم يتقدم طيار اميركي يدعى نول دايفس فيحاول امتحان طيارتهِ قبل الاقدام على هذه الرحلة الشاقة فتهوي به من الجوّ فيقتل هو ورفيقهُ . وفيما الناس يطالعون هذه الانباء والحزن ملء نفوسهم يطير من باريس اثنان من اكبر الطيارين واشجعهم ، نجيسر وكولي ، فيضلان الطريق وتنقطع اخبارهما . يجري كل ذلك و يطل الرواية لم يظهر بعد في ميدان العمل . ولكن الرواية تتقدم رويداً رويداً وحوادثها تزدحم وتتوالى آخذ بعضها برقاب بعض ، فيزداد الاهتمام بتوالي هذه الحوادث اذ يرى القارئ من خلالها امرين الاول ما لهذه الرحلة من الشأن الكبير والثاني المصاعب والمخاطر الجمة التي تحول دون تحقيقها

واي شأن لهذه الرحلة الجوية ! ها خمسة آلاف جنيه بانتظار الفائز وشهرة تطبق الخافقين وتهليل من الجماهير يسكر النفوس . ولكن النقود لا قيمة لها ازاء النجاح في هذا العمل العظيم لان النقود في الحقيقة رمز الى النجاح لا أكثر ولا اقل . والقيمة الحقيقية

صعبٌ تحديدها لان هذا العمل ككل الاعمال الفنية العظيمة لا فائدة ظاهرة تنجم عنهُ . ولكن من ينكر اثرهُ الخفي في النفوس ؟ ان الفوز في الطيران من نيو يورك الى باريس شبيه بآية من آيات الفن فيهِ تتجلى كل الصفات السامية التي تشرف الانسان

كذلك نرى ان الحوادث التي سبقت طيران لندبرغ وتعليق الصحف على الفوائد الظاهرة والخفية التي تنجم عنهُ اثبتت لنا قيمة العمل وفي الوقت ذاتهِ بينت ما يحول دون تحقيقهِ من المصاعب والمخاطر — مصاعب النهوض بالطيارة بعد تحميلها حملاً كبيراً من البنزين، والمخاطر التي تنجم عنهُ تقلبات الهواء وضعف في بناء الآلات او خلل يطرأ عليها ، اضف الى ذلك ضعف الانسان وتعرضهُ للخمول والنوم على اثر جهاد عنيف

ها قد مرّ امامنا اكثر الاشخاص الذين تدور عليهم الرواية ونحن بانتظار بطلها . وفيما نحن ننتظر يزداد اهتمامنا بالامر لما نطالعهُ في الجرائد من منافسة نشأت بين اثنين من اكبر الطيارين في اميركا لنيل هذه الجائزة ، احدهما اول رجل بلغ القطب الشمالي عن طريق الجوّ وهو الكومندر برد والثاني رجل حلّق بطيارتهِ فبقي فيها ٥١ ساعة و١٢ دقيقة في الجوّ وهو كلارنس تشمبرلين

واذ نحن مأخوذون بحوادث هذه المنافسة يدخل بطل الرواية علينا كأنهُ ملك هابط من الجوّ ويكون دخولهُ على اعظم جانب من الاثر في نفوس المشاهدين . ما من روائي سما سمت فيهِ قوة الابتكار يستطيع ان يبتدع طريقة لتعريف البطل بالقراء اقرب الى الحقيقة واوقع في النفس . انهُ يجتاز القارة الاميركية في مرحلتين فيأخذنا باقدامهِ ومفاجآتهِ

لكن احوال الجوّ تحول دون استئناف طيرانهِ بالسرعة التي كان يريدها فيلبث هنيهة في نيو يورك والناس تنتظر ما يكون من امرهِ وهم في هذا الانتظار اشد ما يكون اهتماماً وعناية بحوادث الرواية وتشوقاً لمعرفة الوجه الذي تنتهي عليهِ . وهذا من الفن الروائي في مكان عظيم . لانهُ لو هبط البطل نيو يورك واستأنف طيرانهُ بعيد وصولهِ لما كان اهتمام الناس بهِ كبيراً . ولو انهُ انتظر طويلاً قبل طيرانهِ الى باريس لكان اهتمامهم بهِ فتر وزال . ولكن الحقيقة شاءت ان يلبث زمناً كافياً حتى يرتفع اهتمام الناس بهِ الى اوجه . وفي هذه الهنيهة اخذت الناس سورة من اللوعة والشوق لان البحث عن الطيارين الفرنسيين المفقودين كان قائماً على قدم وساق والامل في العثور عليهما يتراوح بين اليأس والرجاء بين ساعة واخرى . وفيما نحن ننتظر ما يكون من امر هذا البحث ومن امر بطلنا تطلع علينا الصحف والمجلات باوصافهِ — انهُ معلم في احدى مدارس دترويت . وهو حديث السن ، لكن حداثتهُ

لا تمنع ان يكون لهُ تاريخ في الطيران حافل بالمخاطر والمغامرات . اربع مرات لزم الامر ان يخرج من طيارة محطمة في الجوّ بالقفز الى ثمنية (باراشوت). ثم تسمع انهُ عثر في مقعد طيارته على قطة سوداء فتخذها شعاراً لهُ ولكنهُ يخاف ان يصطحبها معهُ لئلاَّ تموت في الطريق من شدة البرد . ثم تنشر صورهُ فتسرنا قسمات وجهه ، وتقرأ عما يقوم بهِ من الاعمال فاذا بهِ يدل على انهُ سكوت هماديُّ ، وديع ، حرّ الرأي ، شجاع . ثم تأتي امهُ لتودعهُ وداعاً قد يكون الاخير ،وحينما يطلبُ اليها مصورو الصحف ان تقبل ابنها امامهم ترفض طلبهم بإباء — كلّ هذه الامور محببهُ الينا وتزيد في شوقنا لمعرفة نهاية امرهِ

ها نحن نستقبل اكبر المشاهد اثراً في النفس، نفاجئ بهِ مفاجأة كما فوجئنا بوصول البطل الى الميدان . انهُ يعزم فجأة على استئناف الطيران الى باريس فيقضي الليل يعدُّ طيارتهُ لا ينام الاَّ ساعتين ، ثم يصعد الى مقعدهِ عند الفجر فيرتفع بالطيارة فترتفع قليلاً لتقل حملها ويرفرف شبح الفشل والموت عليها هنيهة فيضع الناس ايديهم على قلوبهم وجلاً على هذا الفتى الغض الاهاب ، يقدم وحيداً على رحلة حافلة بالمخاطر العظيمة ليجتاز بحر الظلمات. ولكن الطيارة لا تلبث ان تستوي على متن الهواء وتتجه الى هدفها فيردعها جمهور قليل في مقدمتهم الكومندر برد اول رجل طار الى القطب الشمالي

وتعود الامُّ الى مدرستها تسير في عملها اليومي كأن ليس لها ابن يغالب العواصف ويجالد عناصر الجوّ وحيداً كتن السيف عزّي مضاءهُ عن الخلل ،ان تلاميذها يجتنبون ذكرى ابنها امامها لكي لا تثور شجونها . وتسير سيرة النزاع بين الطيارين الاخرين وتزد الاباء باضطراب الجوّ فيخاف سوء المصير ،ثم يصحو الجوّ فترى بارقة امل في نجاح بطلنا ولكن تعاودنا المخاوف حينما نذكر انهُ لم ينم في الليل السابق لطيرانهِ سوى ساعتين . ترى ايغلب الليلَ والنعاسَ ؟ كيف يتقي البرد وهو لم يعدَّ لذلك عدة خاصة ؟ ابقي صافي الذهن يسير الى هدفهِ على هدى الى ان يبلغهُ ؟

وفيما نحن على احرّ من الجمر تبدأ الاخبار البرقية بالورود وفيها انهُ شوهد اولاً فوق فوق نيوفوندلند ثم فوق ارلندا . ثم فوق شربورغ . ها هو ينزل في باريس في جمع محتشد يقدّر بمائة وخمسين الفاً . ان اسمهُ على كل الشفاه . وصورهُ في صفحات الجرائد الاولى الملوك ورؤساء الجمهوريات يستقبلونهُ ويهدرن اليهِ اوسمة الشرف . والجمعيات المختلفة تتسابق الى تكريمهِ والاحتفال بهِ . ها هي الرواية الكاملة خطتها يد الحقيقة على صفحات التاريخ فجاءت في مجملها وتفاصيلها اغرب من بنات الخيال يبتكرها ابرع الروائيين